معالم على طريق الصحوة (٣٠)

الأمن النفسي

د. محمد موسى الشريف

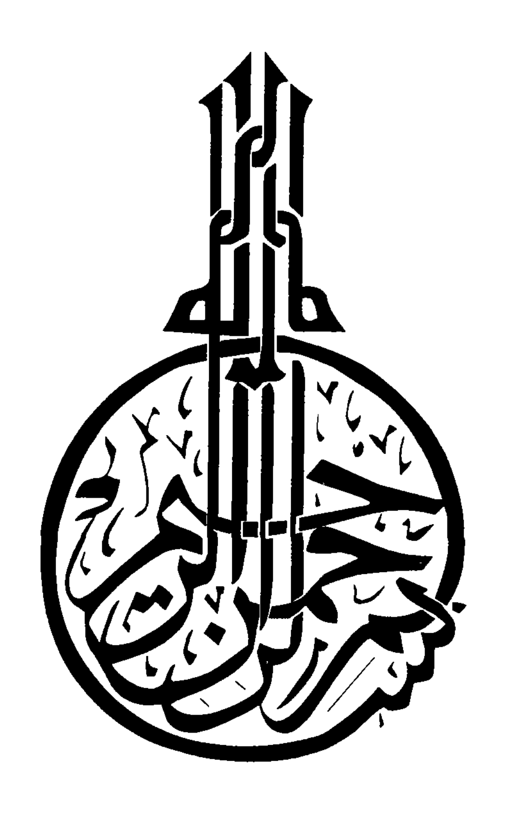
الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار الأندلس الخضراء
المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: ص.ب : ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف : ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس : ٦٨١٠٥٧٨
المكتبات : ❖ حي السلامة - خلف مسجد الشعيبي هاتف - فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩
❖ حي الثغر - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨
❖ مكتب الرياض : هاتف / فاكس : ٢٤٣٤٩٣٠
الموقع: www.alandalos.com - البريد الإلكتروني: info@alandalos.com



الأمن النفسي



قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، سامع النجوى، كاشف البلوى، منجي الغرقى، منقذ الهلكى، مجيب دعوة المضطرين، مغيث الملهوفين، أمان الخائفين، فارج كرب المكروبين، كافي المتوكلين، مثبت المؤمنين، هازم أحزاب الكافرين، مدمر الظالمين، مفرقٌ جمعَهم، مشتتٌ جهدَهم، مبعثّر عزمَهم، مُخَذِّلٌ بينهم، مزيلٌ مكرهم، مُقَوِّضٌ تدبيرَهم، فرأيهم فيه الفساد، وسوق ظلمهم إلى كساد، وعاقبة أمرهم أنهم مخذولون، وحاصل كيدهم أنهم مُفنَّدون.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير المتعال، ذي الطول شديد المِحال، قهره شديد، وأخذه أكيد، فعال لما يريد.

وأشهد أن نبينا وعظيمنا محمداً رسولُ الله، جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ودمر عروش الكافرين الظالمين، والمتكبرين المشركين، فصلِّ اللهم عليه، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الأحداث المحيطة بالأمة أحداث عظيمة، والمتربصين بها كُثُر، والتهديدات التي تتهددها متنوعة من كل حَدَب وصوب، وهذا كله أمر يدعو للقلق والخوف، واليأس والإحباط، والوسوسة والتوهم، لكن الله تبارك

وتعالى لم يكن ليترك عبيده المؤمنين يتخبطون في هذه الظلمات بل إنه ﷻ يثبتهم ويربط على قلوبهم، ويطمئنهم، ويذهب عنهم الخوف والوجل، والقلق واليأس، ويفتح أمامهم أبواب الأمل على مصراعيها، ولا يكلهم لوساوس الشيطان ومهاوي الخوف، وهذه نعمة من الله جليلة، وعناية منه ﷻ عظيمة، وهناك – أيضاً – جملة وافرة مما ورد عن رسولنا الأعظم ﷺ من المبشرات والمثبتات لنا معشرَ المؤمنين متفرقة في بطون كتب السنة المطهرة والسيرة المشرفة، فعمدت إلى كل ذلك فجمعته – مما استطعته- وقسمته إلى عدة أقسام، ومزجت ذلك كله بأحوال السلف الصالحين، والأولياء العاملين، وخرجت من كل ذلك بنتيجة مهمة وبشرى عظيمة ألا وهي أننا نحن حزب الله المنصورون، وجند الله الغالبون، وأن العاقبة لنا ولو بعد حين، إن شاء الله تعالى رب العالمين، وأن كل مخططات الكفر زائلة بائدة، وأنهم لن يستطيعوا منع الشمس من الظهور، ولا نور الله تعالى من الانتشار، وأن الله تعالى بالغ أمره، ومظهر دينه، ولو كره الكافرون المشركون وهذا كله مما يحقق لنفوسنا الأمن والاطمئنان، ويذهب عنها الخوف والقلق بحول الله وقوته.

هذا وقد ذكرت في هذه الرسالة ثمانية أركان تحقق الأمن النفسي، وترسخ الثقة بنصر الله تعالى، وهي على الترتيب:

١- الإيمان العميق.

٢- التوكل على الله تعالى.

٣- الدعاء.

٤- الذكر.

٥- معرفة شأن القضاء والقدر.

٦- معرفة شأن البلاء والامتحان.

٧- الصبر.

٨- الاطلاع على المبشرات المثبتات.

ولم أذكر من هذه الأركان الثمانية إلا ما كان منها معواناً لتحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي؛ ذلك لأن كلاً منها يستحق أن يفرد برسالة، والتطويل فيه ليس من أغراضي في هذه العجالة، لكن حسبي أن أذكر من كل ركن منها ما يتعلق بالموضوع، وأكتفي من السرد الطويل بالكلام المفيد القليل؛ .لأن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً، ولقد أردت فيما أردت أن أجعل ما في هذه الرسالة منهجاً عملياً يُفزع إليه حال الشدائد، ويتمسك به حال وقوع المصائب، أو توقع المحذور، مما مضى في القدر المقدور، وخُطّ في الكتاب المسطور، واقتضته حكمة الباري، ونفذ به أمره الساري، جَلَّ جَلالُه، لا راد لأمره، ولا معارض لحكمه، وحسبنا في كل ذلك التسليم، والرضى بأمر الحكيم العليم، والعمل على رد قضاء الله تعالى بقضاء الله المتين، وأن نكون جنداً له طائعين، عاملين مثابرين، لا يصيبنا كلل ولا ملل إلى الممات، ولا يداخلنا هم أو فزع يفضي إلى الموات.

هذا والله تعالى المسؤول أن يسكب في قلوبنا برد اليقين، وأن يجعلنا من عباده العاملين، الذين هم جنده المنصورون، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصل اللهم وسلم على صفوتك من خلقك، وخيرتك من بَرِيَّتك، عبدك المطمئن الواثق، ونبيك المجاهد محطم العوائق، ورسولك صاحب العزم الفائق سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار، وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان من السلف الصالحين، والخلف العاملين المتابعين، إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد موسى الشريف

البريد الإلكتروني mmalshareef@yahoo.com

الموقع على الشبكة www.altareekh.com

الأمن النفسي وأهميته

المراد بالأمن النفسي :

مرادي بالأمن النفسيّ هو أن تكون النفوس آمنة مطمئنة عند وقوع البلاء أو توقعه، بحيث لا يظهر عليها قلق معيب أو جزع كثير، ولا اضطراب في الأحوال، أو ترك للأعمال، أو التهويل من شأن المصائب، أو التعظيم لمخططات الأعداء تعظيماً يفضي إلى اليأس والهوان، والإحباط والانزواء.

ومرادي منه أيضاً أن يكون العبد موصولاً بمولاه على وجه حسن، جميلَ التوكل، كثير الالتجاء والتبتل، عظيم الخضوع، طويل الخشوع، يحسن الذكر، ويُعمل الفكر، ويديم العمل الصالح، ولا يحصل كل ذلك إلا إن كانت النفوس آمنة مطمئنة، في حِرْز حريز عن وساوس إبليس، ومرض التيئيس.

أهمية الأمن النفسيّ

والناظر للأمراض النفسية السارية في الحياة المعاصرة يعلم أهمية تحقيق هذا الأمر في واقع الحياة، فالقلق يستبد بالناس، والخوف من مجهول قادم يكاد يعصف بهم، هذا عدا عن الآثار المدمرة التي تهدد من أصبح وأمسى مكتئباً محبطاً، خائفاً، غير راضٍ بحاله، ولا سعيد بأيامه.

ولقد أصبح تحقيق الأمن النفسي في المجتمعات مطلباً لكل الدول والحكومات، ولكثير من مراكز الدراسات والأبحاث، وتعقد له مؤتمرات، وتصرف في سبيل تحقيقه أموال طائلة وجهود هائلة، هذا ولم يزدهم كل ذلك إلا خَوَراً في النفوس، وقلقلاً واضطراباً، وجزعاً وأي جزع، ذلك أنهم لم يستمدوا في عملهم ذلك المنهج الإلهي ولا المعونة الربانية، إنما فزعوا إلى جهد البشر فوكلهم الله تعالى إلى أنفسهم وصاروا يتعلقون لكن بسراب، ويطمحون للوصول لكن إلى خيال وخبال.

والعجيب أنه حتى في أرقى دول الأرض اليوم حضارةً مادية مازال القوم قاصرين عن تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي، فقد كثرت حوادث الانتحار كثرة لافتة للأنظار، وفتحت الآلاف من العيادات النفسية يؤمها عشرات الملايين من أبناء الحضارة المعاصرة التي لم تفدهم شيئاً في تحقيق مقصود الناس الأعظم: الطمأنينة في النفوس والسعادة في القلوب، هذا أمر معلوم من حالهم ومعروف من شأنهم، وكل ما يظهر عليهم من سعادة وطمأنينة إنما هو زينة خارجية تغلف تعاسة داخلية، والقوم يعرفون ذلك من أنفسهم، ويدركونه تمام الإدراك.

هذا والعجيب أن كثيراً من الشعوب الإسلامية تبعتهم في مسلكهم المرذول، لابتعادهم عن كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ، فكادوا يصبحون مثلهم ويسيرون سيرهم، وكثرت في أمتنا الحوادث الغريبة والنفوس المريضة، وهذا جزاء من أعرض عن منهج الله تعالى وذهب يلتمس الهدى في غيره.

وما أجمل قول الله تعالى وما أحسنه حين قال سبحانه:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(1).

وقال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(2) أرأيتم إلى قول الله تعالى: ﴿ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ فكيف لو بلانا بالخوف كله، نعوذ بالله من ذلك.

وأظن – والله تعالى أعلم – أن أهمية الأمن النفسي للإنسان يتمثل في الجوانب التالية:

١- الثبات:

فمن كان مشوشاً مضطرباً خائفاً فإن الثبات بعيد المنال عنه، والعامل لا يستطيع العمل بغير ثبات واستقرار نفسيّ وإلا فإن عمله ونتاجه يكونان من الضعف بمكان، وقد يؤدي عدم الثبات إلى ترك الدعوة إلى الله والعمل للإسلام بالكلية، والعياذ بالله.

---

(١) سورة النحل: آية (١١٢).

(٢) سورة البقرة: آية (١٥٥).

٢- البعد عن مرضي اليأس والإحباط:

وهما مدمران للإنسان، ذاهبان بجَلَده وقوته، نافيان لعزمه، ومتى تسربا إلى النفس حطما فيها كل تطلع للمعالي أو تفكير في جميل الأماني، وقعدا بالمرء قعوداً لا يأمل بعده بالعود إلا أن يشاء الله — تعالى — والأمن النفسيّ كفيل بأن يبتعد بالمرء عن هذين المرضين الخطيرين.

٣- اكتمال الشخصية الإسلامية:

وهذا أمر مهم، والداعية صاحب الأمن النفسي تجده مكتمل الشخصية الإسلامية أو قريباً من الاكتمال، فهو بشوش، واسع الصدر، مطمئن، ليس بمضطرب ولا قلق، عظيم الأمل، كثير التفاؤل، يشيع الأمن والاطمئنان حوله، جميل التوكل، حسن العبادة، دائم العمل في خدمة دينه وأمته، راض، سعيد إلخ ...

٤- الثقة الكاملة بمعية الله ونصره:

وهذا بعض لوازم بعض ما ذكرته آنفاً لكن لأهميته المطلقة ذكرته منفرداً، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى[١].

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

---

(١) انظر المقوم الثامن من مقومات الأمن النفسيّ.

مقومات الأمن النفسي

أولاً: الإيمان العميق :

الإيمان العميق بالله تبارك وتعالى، ومعيته لعبيده المؤمنين، وتثبيته لهم في الشدائد، وإعانته إياهم في النوائب يكسب المؤمنين أماناً واطمئناناً عجيبين، إذ شعورهم بأنهم موصولون بالقوة العظمى في الكون شعور رائع يملأ جوانحهم بالرضى والتسليم والطمأنينة.

ألم تر إلى بني إسرائيل لما لحقهم فرعون وجنوده، وضاقت بهم الأرض، وظنوا أنهم مأخوذون لا محالة، ألم تر إلى الطمأنينة العجيبة التي كانت مستولية على موسى عليه الصلاة والسلام، والثبات الكبير الذي أبداه:

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾(١).

---

(١) سورة الشعراء: آية (٦١-٦٦).

ويبقى قول موسى عليه الصلاة والسلام فيما قصه الله تعالى علينا: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ علامة على الإيمان العميق بالله تعالى، ودلالة على الطمأنينة والأمن النفسي الذين إن تحققا للعبد فاز وسعد.

وكذلك نبينا الأعظم ﷺ كان يعيش في أمن نفسي عجيب، فقد أحاطت به شدائد ومصائب عظيمة كان يواجهها بأبي هو وأمي ﷺ ببرد اليقين، والأمثلة كثيرة لكن حسبي أن أورد منها مثالاً واحداً معبراً وهو ما جرى له ﷺ يوم الخندق، وهو يوم عصيب، وصفه الله تعالى في كتابه بأعظم وصف وأشده هولاً، فقد فقال جل من قائل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[1].

أرأيت إلى قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ فهو يصور شدة

---

(١) سورة الأحزاب: (٩-١١).

المعركة وهولها وعظم تأثيرها على المؤمنين فكيف كان رسولنا الأعظم ﷺ؟ وكيف كان الأطهار صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم؟ قال الأستاذ سيد قطب، رحمة الله تعالى:

« خرج رسول الله ﷺ يعمل في الخندق مع المسلمين. يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمِسْحاة، ويحمل التراب في المِكْتل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواقم بالرَجَز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع! وقد كانوا يتغنون بأغان ساذجة من وحي الحوادث الجارية: كان هناك رجل من المسلمين اسمه جعيل، فكره رسول الله ﷺ اسمه، وسماه عمراً، فراح العاملون في الخندق يغنون جماعة بهذا الرجز الساذج:

سمـــاه من بعـــد جعيـــل عمراً

وكـــان للبـــائس يوماً ظهـــراً

فإذا مروا في ترجيعهم بكلمة "عمرو"، قال رسول الله ﷺ: "عمـــراً"، وإذا مروا بكلمة "ظهر" قال رسول الله ﷺ: "ظهراً".

ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون، والرسول ﷺ بينهم، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل في المكتل، ويرجع معهـــم هـــذا الغناء. ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم؛ وأي ينبـــوع يتفجر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز.

وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب. فقال ﷺ أما إنه نعم الغلام! وغلبته عيناه فنام في الخندق. وكان القَرُّ[1] شديداً. فأخذ عمارة بن حزم سلاحه، وهو لا يشعر، فلما قام فزع. فقال رسول الله ﷺ: « يا أبا رُقاد! نمت حتى ذهب سلاحك"! ثم قال: "من له علم بسلاح هذا الغلام"؟ فقال عمارة: يا رسول الله هو عندي. فقال: فرده عليه. ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعباً!

وهو حادث كذلك يصور يقظة العين والقلب، لكل من في الصف، صغيراً أو كبيراً . كما يصور روح الدعاية الحلوة الحانية الكريمة: « **يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك!** » ويصور في النهاية ذلك الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه في كنف نبيهم، في أحرج الظروف.

ثم كانت روحه ﷺ تستشرف النصر من بعيد، وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول؛ فيحدث بها المسلمين، ويبث فيهم الثقة واليقين.

قال ابن إسحاق: وحُدثت عن سلمان الفارسيّ أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني. فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة. قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال:

---

(١) أي البرد

قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت، لمع المعول وأنت تضرب؟ قال: « **أو قد رأيت ذلك يا سلمان** »؟ قال: قلت نعم. قال: « **أما الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن. وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب. وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق** »[(١)].

أما أخبار شجاعته ﷺ في الهول، وثباته ويقينه، فهي بارزة في القصة كلها، ولا حاجة بنا إلى نقلها، فهي مستفيضة معروفة.

وصدق الله العظيم: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[(٢)].

ثم تأتي صورة الإيمان الواثق المطمئن؛ وصورة المؤمنين المشرقة الوضيئة، في مواجهة الهول، وفي لقاء الخطر. الخطر الذي يزلزل القلوب المؤمنة، فتتخذ من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين: ﴿ **وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا** ﴾[(٣)].

لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في الحادث من الضخامة؛ وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة؛ وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث

---

(١) هناك سياق آخر لهذه الحادثة أخرجه الأمام أحمد عن البراء بن عازب ﷺ، انظر "الفتح الرباني": ٢١/٧٨.

(٢) سورة الأحزاب: آية (٢١).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٢٢).

زلزلهم زلزالاً شديداً، كما قال عنهم أصدق القائلين: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾(١).

لقد كانوا ناساً من البشر، وللبشر طاقة، لا يكلفهم الله ما فوقها. وعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله في النهاية؛ وبشارة الرسول ﷺ لهم، تلك البشارة التي تتجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق، على الرغم من هذا كله، فإن الهول الذي كان حاضراً يواجههم كان يزلزلهم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم.

ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة. والرسول ﷺ يحس حالة أصحابه، ويرى نفوسهم من داخلها، فيقول: « **من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة** » ومع هذا الشرط بالرجعة، ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة، فإن أحداً لا يلبي النداء. فإذا عين بالاسم حذيفة قال: فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني! ألا إن هذا لا يقع إلا في أقصى درجات الزلزلة.

ولكن كان إلى جانب الزلزلة، وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله؛ والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله؛ والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن؛ وتحقق أواخرها متى

---

(١) سورة الأحزاب: آية (١١).

تحققت أوائلها. ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سبباً في انتظار النصر. ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1] وها هم أولاء يزلزلون، فنصر الله إذن منهم قريب! ومن ثم قالوا: ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾.. ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾.

﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ : هذا الهول، وهذا الكرب، وهذه الزلزلة، وهذا الضيق وعدنا عليه النصر، فلابد أن يجيء النصر: ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾، صدق الله ورسوله في الأمارة وصدق الله ورسوله في دلالتها، ومن ثم اطمأنت قلوبهم لنصر الله ووعد الله: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾.

لقد كانوا ناساً من البشر، لا يملكون أن يتخلصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر. وليس مطلوباً منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشري؛ ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس؛ ويفقدوا خصائصه ومميزاته، فلهذا

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

خلقهم الله، خلقهم ليبقوا بشراً، ولا يتحولوا جنساً آخر، لا ملائكة ولا شياطين، ولا بهيمة ولا حجراً، كانوا ناساً من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، ولكنهم كانوا – مع هذا – مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله، وتمنعهم من السقوط، وتجدد فيهم الأمل، وتحرسهم من القنوط، وكانوا بهذا وذاك نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية لم يُعرف له نظير.

وعلينا أن ندرك هذا لندرك ذلك النموذج الفريد في تاريخ العصور، علينا أن ندرك أنهم كانوا بشراً، لم يتخلوا عن طريقة البشر، بما فيها من قوة وضعف. وأن منشأ امتيازهم أنهم بلغوا في بشريتهم هذه أعلى قمة مهيأة لبني الإنسان، في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمساك بعروة السماء.

وحين نرانا ضعفنا مرة، أو زُلزلنا مرة، أو فزعنا مرة، أو ضقنا مرة بالهول والخطر والشدة والضيق فعلينا ألا نيأس من أنفسنا، وألا نهلع ونحسب أننا هلكنا، أو أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبداً! ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف إلى جوار ضعفنا لأنه من فطرتنا البشرية! ونصر عليه لأنه يقع لمن هم خير منا! هنالك العروة الوثقى: عروة السماء، وعلينا أن نستمسك بها لننهض من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر، فنثبت ونستقر، ونقوى ونطمئن، ونسير في الطريق.

وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسلام، النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية وحسن بلائه وجهاده، وثباته على عهده مع الله، فمنهم من لقيه، ومنهم من ينتظر أن يلقاه:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1] هذا في مقابل ذلك النموذج الكريه: نموذج الذين عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، ثم لم يوفوا بعهد الله: ﴿ وكان عهد الله مسؤولاً ﴾[2]

وكلما عظم الإيمان في النفوس وانتفى عنها الشرك كان ذلك أدعى لتحقيق الأمن النفسي، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3].

والظلم المقصود هنا هو الشرك، فمن برئ من الشرك قليلـه وكـثيره تحقق له الأمن المنشود، والصفاء المطلوب.

وصاحب الإيمان العميق الصادق، والعواطف الإسلامية الدافقة يكـون أهلاً إن شاء الله تعالى للنصر ومَحَلاً له، وتكون نفسه آمنة مطمئنة، كيـف

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٢٣).

(٢) "في ظلال القرآن" ٥/٢٨٤٢ – ٢٨٤٤.

(٣) سورة الأنعام: آية (٨٢).

لا وهو قد أوى إلى ركن شديد، لكن المصيبة كل المصيبة إذا ضعف الإيمان وحَلّ الجفاف واليبس في نفس المرء، هنا تستبد به الوساوس ويعصف به القلق، ويصبح بمعزل تام عن الأمن النفسي المطلوب، يقول الأستاذ الراشد مبيناً تقصير الدعاة وطلبة العلم في هذه المسألة المهمة: مسألة ارتباط النصر وثبات النفس واستبشارها بعظم الإيمان وتدفق العواطف ووهج المحبة، يقول:

« كأن النصر حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا النصر بإدلال، نبيعه ونثبت لنا حقاً عاجلاً في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همساً في الأسحار، ولا الدمع المدرار، إنما النصر هبة محضة يقر الله بها عين من شاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا...

قال ابن القيم[1]:

يحيون ليلهم بطاعة ربهم
بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم
مثل انهمار الوابل الهطال

(١) الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرَعيّ الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي. ولد سنة ٦٩١. كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف. وكان كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد. توفي سنة ٧٥١ بدمشق، وكانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى. انظر (الدرر الكامنة): ٤/٢٣٢١.

في الليل رهبان وعند جهادهم
لعدوهم من أشجع الأبطـــال
بوجوههم أثر السجـــود لربهم
وبها أشعـــة نوره المتـــلالي[1]

وليس كمثل العاطفة سلاح فعال يتسلح به العبد لمواجهة الهجمة الشرسة التي تحيط به من كل الجوانب، وهذا أحد الدعاة يتحدث عن أهمية العاطفة الإيمانية وأثرها في النفس وأنها سلاح فتاك لا يملك الأعداء أمامه إلا الخضوع والرضوخ فيقول عن هذه الأسلحة:

(أسلحة فعالة لا يملك العدو لها ضداً نوعياً يبطل مفعولها، لذلك يقف – رغم كل ما يملكه من سلاح وأسباب تدمير – مـذهولاً عـاجزاً عـن مواجهة من يمتلك سلاح الإيمان بالله والثقة بنصره، والإصرار على مواصلة دربه والتوسل إلى الله والتذلل بين يديه والتضرع له في الخلوات، المفضـي بانفجار المآقي بدموع الشوق والرغبة إليه ومناجاته في جوف الليل استدراراً لرحمته، واستمطاراً لمُزن رضاه[2]، فقد تجف الأرواح في ميـادين الصـراع وسُوح[3] الجدل الفكري والسياسي والمساجلات الإعلامية فينسى المؤمن ما لديه من أسلحة النصر، وقد يغفل أن الدعاء سلاحه ووسيلته مـع واهـب

(١) " الرقائق ": ٣٣، ٣٥.

(٢) أي سحب رضاه، وهو تعبير مجازي.

(٣) أي ساحات.

الوجود، وأن دموع السر تطفئ غضب الرب، وتلطف شغاف القلب، وأن التلقين الواعي للنفس بحب الله والقرب منه والتزلف إليه محطات للتزود بالوقود الروحيّ لدفع "ماكينة" العمل الإسلامي إلى الأمام بخطوات متسارعة تتلاشى معها الألقاب، وتتضاءل لديها الصعاب... ومن لا يحصن نفسه بالخشوع، ويسقي أشجار محبة الله بالدموع فليس أمامه إلى النكوص والرجوع، والجفاف والركوع أمام أصنام الذات وأوثان الحياة، وتلك هي الطامة الكبرى التي ما فوقها طامة، والكبوة المهلكة التي لا تنفع معها طقوس عبادة جامدة، ولا شكليات صلاة هامدة لا حياة فيها ولا حركة ولا روح... ذلك أن الجفاف الروحيّ، والجدب المعنويّ، واليُبس العاطفيّ أخطر آفات العمل الإسلامي، التي لو تعرض لها روح الإسلاميّ العامل لأفقدته أهم قوى الجذب والمغناطيسية والاستقطاب في أمة تطالب الإسلاميين أن يشيعوا في أوساطها الصفاء والنقاء، والتوكل والتعبد والدعاء...)[1]

---

(١) من مقال "وعي البعد الغيبيّ ودوره في حياة العاملين" مجلة المجتمع: عدد ١٣٧٩ رمضان سنة ١٤٢٠.

ثانياً
التوكل على الله

وهو بحر عميق، لا يصلح إلا أن ينفرد برسالة، لكن ليس مرادي – كما أوضحت في المقدمة – أن آتي عليه تعريفاً وتقسيماً وإحاطة بجوانبه لكن مرادي أن أذكر جوانب منه تتعلق بالأمن النفسيّ وترتبط به ارتباطاً وثيقاً.

أما التوكل فهو طريقة المؤمنين، وطريق الصالحين، وهو صلة عظمى بالله تبارك وتعالى رب العالمين، لا غنى لعبد عنه إن أراد تحقيق أمن نفسه والابتعاد عن كل ما يشوش فكره. ودين الإسلام يتميز عن كل الأديان والمذاهب بهذه العبادة الرائعة والخصلة العظيمة التي لا يعرفها من الناس أحد اليوم إلا المسلمون.

لكننا نرى اليوم جماعات كثيرة من المسلمين – بل أكثر المسلمين على الحقيقة – نسوا هذا المعنى الرائع والعبادة الجليلة، وحلّ محلّها التكالبُ الغريب على الدنيا والإخلاد إليها، وأصبح أكثر المسلمين متخوفين من المستقبل، سريعي التأثر بما يجري عليهم من أقدار البلاء، شديدي الفرح بما يأتيهم من أقدار الرخاء.

وقد أخطأ في فهم هذه العبادة القلبية العظيمة جماعات من العباد والزهاد وأكثر العامة حيث ذهبوا في هذه المسألة المهمة إلى طرفي النقيض:

الإفراط في الاعتماد على الأسباب، والتفريط فيها، وأخطأوا التوسط الذي هو سمة هذه الأمة المباركة، والذي هو الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى في تحقيق المطلوب.

والتوكل مهم جداً في باب الأمن النفسيّ؛ لأن العبد إذا قدم كل ما يستطيع، وبذل ما يقدر أن يبذله من أسباب فإنه لا يبقى له إلا أن يفزع إلى مولاه، ويلقي بنفسه بين يديه، ويطمئن إليه، ويثق تمام الوثوق بأن الله تعالى حافظه ومانعه من أعدائه، وما أحسن ما قيل في تعريف التوكل — وقيل فيه كلام طويل جميل — مما يناسب هذا المقام أنه هو « علم القلب بكفاية الرب للعبد »(١)، وقيل فيه أيضاً: « حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلَة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه »(٢).

والقرآن مليء بالحديث عن التوكل، وما أجمل قوله تعالى فيه مما يناسب الحديث عن الأمن النفسيّ:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ

---

(١) "تهذيب مدارج السالكين": ٣٣٦.

(٢) مقدمة كتاب "التوكل على الله" للحافظ ابن أبي الدنيا: ٣١.

عَظِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في بيان أهمية التوكل في تحقيق الأمن النفسيّ:

« حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في الغار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ »[٢].

وما أجمل هذه القصة الآتية، وما أحسن تعلقها بما نحن فيه الآن، فعن عون بن عبدالله[٣] قال: « بينما رجل في بستان بمصر – في فتنة ابن الزبير – متكئاً، معه شيء ينكت به في الأرض إذ رفع رأسه فسَنَح له[٤] صاحب مِسْحاة[٥]، فقال له: يا هذا: مالي أراك مكتئباً حزيناً؟ قال: فكأنه ازدراه[٦]، فقال: لا شيء.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٧٣-١٧٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير: باب قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾.

(٣) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهُذليّ، أبو عبدالله الكوفيّ. ثقة، عابد. مات قبل سنة ١٢٠ رحمه الله تعالى انظر "التقريب": ٣٤.

(٤) أي عَرَضه له.

(٥) آلة زراعية.

(٦) أي احتقره.

فقال صاحب المسْحاة: أللدنيا؟ فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر. والآخرة أجَلٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحق والباطل.

فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه، فقال: لِما فيه المسلمون.

قال: فإن الله ﷻ سينجيك بشفقتك على المسلمين، وسَلْ فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، ودعاه فلم يجبه، وتوكل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم يُنْجِه.

قال: فعلقت الدعاء[١]: اللهم سلمني وسلم مني، فتجلت[٢] ولم تُصب منه أحداً »[٣].

---

(١) أي تعلق به واغتنمه.

(٢) أي الفتنة.

(٣) "التوكل على الله" لابن أبي الدنيا: (٦٧-٦٨)، وإسناد هذه الحكاية صحيح.

ثالثاً

ذكر الله تبارك وتعالى

وهو بحر متلاطم الأمواج لا ساحل له، والحديث عنه طويل متشعب، شيق رائع، لكنه مما يطول به الكتاب، وليس من مقصودي في هذه الرسالة، وحسبي أن أورد منه نتفاً تدل على المراد، وهو أن ذكر الله تبارك وتعالى يُورث العبد الأمن النفسي المطلوب، وتصله بالله تعالى على وجه يطمئن به القلب وتستريح إليه النفس.

وقد ورد في كتاب الله تعالى ما يدل على ذلك، فقد قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[١].

وقد بين النبي الأعظم ﷺ في طائفة من أحاديثه الشريفة المنيفة أثر الذكر في تحقيق الأمن النفسيّ وتثبيت القلوب به، فمن ذلك:

١- أنكار الصباح والمساء:

ففيهما جملة وافرة من المثبتات والمطمئنات والمؤمّنات، فقد قال النبي ﷺ: **« ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلا يضره شيء »**[٢].

---

(١) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (١/٦٩٥).

أرأيت إلى هذا الأمن العجيب الذي يورثه ترداد هذا القول الوجيز ثلاث مرات؟ والضامن ألا يصيبك مكروه في الأرض ولا في السماء هو الله ﷻ، فسبحان الله ما أعظم شأن المؤمن وما أحسن حاله إذا تقيد بالمنهج الإسلامي السديد، وما أبعدَ أعداءه عنه.

وذكرٌ آخر مهم في هذا الباب، حيث يقول النبي ﷺ « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عَدْلَ عشرِ رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضلَ مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه** »[١].

فهذا ذكر عظيم، وشاهده لموضوعنا قول النبي ﷺ: « **وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذاك حتى يمسي** » فكم للشيطان من وساوسَ في القلوب، وتكدير لحياة الإنسان، وإحزان له أيما إحزان، وكم يخوف من المستقبل، ويؤيس من النصر والفلاح والنجاح، وكم يعطل من عزم، ويَفِلُّ من حزم، فتردادنا لكلمة الإخلاص العظيمة مائة مرة – أي قرابة ربع ساعة – تجر علينا من الفوائد العظيمة ما الله به عليم، وتورثنا من الأمن النفسي من وسوسة إبليس وحزبه الشيء الكثير، فلله كم يُغبن من غفل عن مثل هذا الأجر العظيم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: باب فضل التهليل.

٢- أحاديث مخصوصة في باب الذكر جالبة للأمن النفسي:

أخبر النبي ﷺ بأقوال يقولها العبد فتثبته أيما تثبيت، وتطمئن بها نفسه ويأمن، فمن ذلك:

أ- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حَزَن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أَمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن رِبيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً.**

قال: فقيل: يا رسول الله: ألا تتعلمها؟

فقال ﷺ: بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها »[1].

ب- الصلاة على النبي ﷺ:

فهي عظيمة، نافعة في تحقيق الأمن النفسي وذلك بذهاب الهم كما أخبر النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه حيث قال:

« **كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس: اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه.**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في سنده: (٥/٣٧١٢-٣٧١٣)، وقال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: إسناد صحيح.

قال أبي بن كعب ﷺ: قلت يا رسول الله: إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟

قال: ما شئت.

قلت: الربع؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك.

قلت: النصف؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك.

قلت: والثلثين؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك.

قلت: أجعل لك صلاتي كلها.

قال: إذا تُكفى هَمَّك، ويغفر لك ذنبُك »[1].

جـ- الله، الله ربي ولا أشرك به شيئاً:

فعن أسماء بنت عُمَيس[2] رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

« ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب – أو في الكرب – الله، الله ربي ولا أشرك به شيئاً »[3].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة: حديث رقم (٢٤٥٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الإمام الذهبي.

(٢) أسماء بنت عُميس بن معبد الخثعمية، من المهاجرات الأُوَل. توفيت بعد علي رضي الله عنه، وكان آخر زوج لها. انظر ترجمتها في "سير أعلام النبلاء": ٢/٢٨٢" وما بعدها.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: باب في الاستغفار، وانظر "عون المعبود": (٣٨٦/٤).

د- ذكر الخروج من المنزل:

وهو مهم في تحقيق الأمن النفسيّ لكل من خرج من منزله ويريد أن يُكفى الشرور والهموم، فعن أم سلمة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال:

« بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك أن نزل أو نضل أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا »(١).

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

« من قال – يعني إذا خرج من بيته –: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان »(٢)

الله أكبر! ماذا يريد العبد لتحقيق أمنه النفسي أكثر من الكفاية والوقاية إذا خرج من بيته، وأن يتنحى عنه الشيطان بكيده ووسوسته!

والله تبارك وتعالى ضمن للذاكرين أن يذكرهم، ومن ذكره الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقد قال جل من قائل: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾(٣).

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه أبواب الدعوات: باب ما جاء ما يقول إذا خرج من منزله، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجَ الحاكم نحوه في "المستدرك": (١/٧٠٠)، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الإمام الذهبيّ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة البقرة: آية (١٥٢).

وقال سبحانه في الحديث القدسي الجليل:

« ... فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منهم... »[١].

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إن الله يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه »[٢].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم: بابُ قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (٦٧٣/١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي.

رابعاً
الدعـــاء

وهو باب واسع عظيم، وأمر نافع، والحديث عنه يطول لكن حسبي أن أورد بعض ما يتعلق بموضوع تحقيق الأمن النفسي، وإلا فحقه أن يفرد برسالة، بل بمجلدات كبار، كما فعل عدد من الأئمة الأطهار.

والأمة الإسلامية اليوم تعاني من الضعف وتكالب الأعداء عليها، وانتقاصهم أرضها، وامتصاصهم خيراتها، وتهديدهم لها، وهي لا تملك سلاحاً مادياً فعالاً تواجه به أعداءها، ولا سلاح لها إلا سلاح الإيمان بالله والاعتماد عليه واستمداده النصر والتمكين والفرج، والنبي ﷺ ذكر في حديث شريف أن الدعاء سلاح للمؤمن، وعمدة له، ومفزع وملجأ، فقد قال علي رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: « **الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض** »[1].

والمطلوب أن يتعلق المؤمن بالدعاء في أحوال الرخاء حتى يستجيب الله له في الشدائد، فقد قال ﷺ:

« **من سره أن يُستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء** »[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (١:٦٩٩) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الإمام الذهبي، رحمهما الله تعالى.

(٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الإمام الذهبي رحمهما الله تعالى. انظر المصدر السابق: (١:٧٢٩).

ومثله الحديث المشهور:

« تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة »[1].

فالدعاء مهم ومطلوب، والاستكثار منه حسن، ودليل على صدق إيمان العبد، وحسن تعلقه بالله تعالى ﷻ، وأحرى بمن هذا شأنه أن يثبته الله تعالى ويلقي في قلبه الطمأنينة والأمن حال الشدائد والكرب.

وهناك جملة من الأدعية القرآنية والأدعية النبوية إذا دعا بها العبد حققت له الأمن المنشود والطمأنينة المطلوبة، فمن ذلك:

١- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها[2] **وفي زيادة:**

فقال رجل: يا رسول الله ﷺ:

هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟

---

(١) جزء من حديث مشهور صحيح، وهو من كلام النبي ﷺ وتعليمه ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الأستاذ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل. انظر "مسند الإمام أحمد": (٤/٢٨٦-٢٨٨).

(٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح، ووافقه الإمام الذهبي، رحمهما الله تعالى. انظر "المستدرك": (١/٦٨٤-٦٨٥).

فقال ﷺ:

ألا تسمع إلى قول الله ﷻ:

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

٢- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: « **اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم** »(٢).

٣- وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال:

« **أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجريَ السحاب، وهازمَ الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم** »(٣).

وفي رواية أخرى:

« **اللهم منزلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم** »(٤).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (١٤٢/٢) وصححه، ووافقه الإمام الذهبي.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد: باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس.

(٤) المصدر السابق.

أدعية قرآنية مجربة نافعة في تحقيق الأمن النفسي :

ومن المجربات في باب الأدعية القرآنية ما جاء في كتاب: "مصباح الظلام" لأبي عبدالله بن النعمان[١]؛ فقد ذكر:

أن العزيز بالله[٢] اعتقل الشريف بن طَبَاطبا[٣] ووكل به، فبات تلك الليلة فرأى النبي ﷺ في منامه، فقال له:

وكل بك العزيز؟

قال: نعم يا رسول الله.

قال: فأين أنت عن الخمس التي لا تحجب عن الله يفرّج الله عنك بها؟

قال: فقلت: يا رسول الله، وما هي؟

قال: قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[٤].

---

(١) شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان المرّاكشي الفاسي المالكي. توفي سنة ٦٨٣. وكتابه هذا مخطوط كما في «الأعلام»: (١١٨/٧).

(٢) نزار بن مَعَدّ بن إسماعيل، أبو منصور. الخليفة الفاطمي بمصر، وقد كان رافضياً خبيثاً. توفي سنة ٣٨٦. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (١٦٧/١٥) وما بعدها.

(٣) الشريف عبدالله بن أحمد بن علي الحسني المدني ثم المصري، كان محتشماً، صالحاً للخلافة. توفي سنة ٣٤٨. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٤٩٦/١٥-٤٩٧).

(٤) سورة البقرة: آية (١٥٥-١٥٧).

وقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(١).

وقوله تعالى:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٧٣).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٨٣-٨٤).

(٣) سورة الأنبياء: آية (٨٧-٨٨).

(٤) سورة غافر: آية (٤٤-٤٥).

قال: فانتبهتُ وقد حفظتُ ذلك، فلما أصبحت أطلق سبيلي، فعرفت بركة الخمس الآيات[١].

ومن هذا الباب كذلك ما قاله جعفر بن محمد الصادق[٢]:

عجبت لمن بُلي بالضر كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٣]، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾[٤].

وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥]، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦].

---

(١) "الأرج في الفرج": (٤٥-٤٦).

(٢) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام، أحد أعلام السلف. توفي سنة ١٤٨. انظر ترجمته في "نزهة الفضلاء": (١/٥٣٥-٥٣٨).

(٣) سورة الأنبياء، آية (٨٣).

(٤) سورة الأنبياء، آية (٨٤).

(٥) سورة الأنبياء، آية (٨٧).

(٦) سورة الأنبياء، آية (٨٨).

وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1]، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾[2].

وعجبت لمن كُويد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[3]، والله سبحانه يقول: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ ﴾[4].

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾[5] [6].

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٧٣).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٧٤).

(٣) سورة غافر، آية (٤٤).

(٤) سورة غافر، آية (٤٥).

(٥) سورة الكهف، آية (٣٩).

(٦) "الدعاء المأثور وآدابه": (٧٥-٧٦).

قصص جميلة مروية عن السلف في أثر الدعاء في جلب الأمن النفسي والتخلص من الشدائد:

١- نقل الإمام ابن حجر[١] – رحمه الله تعالى – عن أبي بكر الرازي[٢] قال:

كنت بأصبهان عند أبي نعيم[٣] أكتب الحديث، وهناك شيخ – يُقال له أبو بكر بن علي – عليه مدار الفُتيا، فسُعيَ به عند السلطان فسجن، فرأيت النبي ﷺ في المنام، وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لي النبي ﷺ:

« قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاريّ حتى يفرج الله عنه ».

قال: فأصبحت فأخبرته، فدعا به فلم يكن إلا قليلاً حتى أُخرج[٤].

٢- قال الربيع[٥] حاجبُ المنصور:

دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد[٦] يُلحد في سلطاني، قتلني الله

---

(١) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري. تفرد في زمانه بعلوم الحديث وفقهه، توفي سنة ٨٥٢. انظر ترجمته في "الضوء اللامع": (٢/٣٦-٤٠).

(٢) هو الحافظ أحمد بن علي الرازي، ثم الاسفراييني، الزاهد الثقة، توفي قريباً من سنة ٤٣٠. انظر: "سير أعلام النبلاء": (١٧/٥٢٢).

(٣) هو الإمام أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، العلامة الثقة الزاهد. ولد سنة ٣٣٦، وتوفي سنة ٤٣٠. انظر ترجمته في المصدر السابق: (١٧/٤٥٣-٤٦٤).

(٤) "فتح الباري": ٢٣/١٧٣.

(٥) الربيع بن يونس، الوزير، الحاجب الكبير، أبو الفضل الأموي، من موالي عثمان رضي الله عنه حجب للمنصور، ثم صار وزيراً له، وكان من نبلاء الرجال وفضلائهم. توفي سنة ١٦٩. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٧/٣٣٥).

(٦) هو جعفر الصادق، وقد سبقت ترجمته قريباً.

إن لم أقتله، فأتيته فقلت: أجب أمير المؤمنين، فتطهر ولبس ثياباً... فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله، فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه وقال: مرحباً بالنقي الساحة، البريء من الدَغَل[1] والخيانة، أخي وابن عمي، فأقعده معه على سريره، وأقبل عليه بوجهه وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك، فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم، فتأمر لهم به، قال: أفعل، ثم قال يا جارية، ائتيني بالتُحْفة، فأتته بمُدْهُن زجاج فيه غالية[2]، فغلفه[3] بيده وانصرف.

فاتبعته فقلت: يا ابن رسول الله: أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول، فما هو؟

قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تهلكني وأنت رجائي.

ربِّ: كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قَلّ لها عندها صبري، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تُحصى أبداً، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت.

---

(١) أي الفساد.

(٢) نوع من الطيب.

(٣) أي طيَّبه، ولطَخَه بالطيب. انظر "لسان العرب": (غ ل ف).

يا من لا تضره الذنوب، ولا تُنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني مالا يُنقصك، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا وشكر العافية[١].

٣- وجاء في كتاب "مصباح الظلام" لأبي عبدالله بن النعمان:

بينا المهدي[٢] في بعض الليل نائماً إذ انتبه فزعاً واستحضر صاحب شرطته وأمره أن ينطلق إلى المُطْبق[٣] ويطلق العلوي، ففعل، فلما جاء ليركب قال له: بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك؟

قال: إني والله كنت الليلة نائماً فرأيت رسول الله ﷺ في منامي، وقال لي:

أي بُني: ظلموك؟

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: فقم فصل ركعتين وقل بعدها: يا سابق الفوت[٤]، ويا سامع الصوت، ويا كاسيَ العظام بعد الموت صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب.

فوالله لقد قمت وجعلت أكررها حتى دعوتني[٥].

---

(١) «نزهة الفضلاء»: ٥٣٧/١.

(٢) محمد بن المنصور أبي جعفر الخليفة العباسي. توفي سنة ١٦٩ بعد أن عاش ٤٣ سنة. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٤٠٠/٧-٤٠٣).

(٣) أي السجن

(٤) أي يا سابق السَّبْق، الذي لا يسبقه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعجزه، ﷻ.

(٥) "الأرَج في الفرج": (٤٤-٤٥).

٤- وروى أبو نعيم الأصبهاني عن الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد[١]، قال:

دخلت على هارون الرشيد وبين يديه سيوفٌ وأنواع من العذاب، فقال لي: عليَّ بهذا الحجازي – يعني الشافعي –.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل.

فأتيت الشافعي فقلت له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: أصلي ركعتين؟

قلت: صلِّ.

ثم جاء إلى دار الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الأول حرك الشافعي شفتيه، فلما دخلنا الدهليز الثاني حرك الشافعي شفتيه، فلما وصلنا حضرة الرشيد قام إليه وأجلسه موضعه، وخاصة الرشيد ينظرون إلى ما أعد له من أنواع العذاب، ثم أذن له بالانصراف وقال لي: يا فضل: احمل بين يديه بَدْرَة[٢] فحملت، فلما صرنا على الدهليز قلت: سألتك بالذي صيّر غضبه عليك رضي إلا ما عرّفتني ما قلت في وجه أمير المؤمنين حتى رضي؟

قال: قلت: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٣]. اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بنُور قُدْسك، وبركة طهارتك، وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الجن

---

(١) الأمير الكبير، حجب لهارون الرشيد، ثم قام بخلافة الأمين، وعفا عنه المأمون بعد ذلك. توفي سنة ٢٠٨ وهو في عشر السبعين. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (١٠/١٠٩-١١٠).

(٢) البَدرة: وعاء الدراهم.

(٣) سورة آل عمران: آية (١٨).

والإنس إلا طارقاً يطرقني بخير يا أرحم الراحمين، اللهم بك ملاذي قبل أن ألوذ، وبك غياثي قبل أن أغوث، يا من ذلت له رقابُ الفراعنة، وخضعت له مقاليد الجبابرة.

اللهم ذكرك شعاري ودثاري، ونومي وقراري، أشهد أن لا إله إلا أنت، اضرب عليَّ سرادقات حفظك، وقني برحمتك يا رحمن.

قال الفضل: فكتبتها وجعلتها في رداء قَبائي[1]، وكان الرشيد كثير الغضب عليّ، وكلما همّ أن يغضب حركتها في وجهه فيرضى[2].

٥- لما سخط المأمون[3]على الفضل بن الربيع دعا فقال:

يا من ليس فوقه رب يدعى، ويا من ليس فوقه إله يُخشى، ويا من ليس فوقه ملك يبقى، ويا من ليس له حاجب يرشى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ويا من ليس له بواب ينادى، ويا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا كَرَماً وجوداً، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً وصفحاً، صلّ على محمد وعلى آل محمد، وفرِّج عني ما أمسي فيه وأصبح من هم وغم وخوف، فإنك على ما تشاء قدير، يا ذا الجلال والإكرام، يا فعال لما يُريد.

---

(١) نوع من الثياب.

(٢) "الأرَج في الفرج": (٣٩-٤٠).

(٣) المأمون: عبدالله بن هارون الرشيد، أبو العباس. كان من خلفاء بني العباس الأقوياء، وهو معدود في العلماء إلا أنه زلّ فقال بخلق القرآن فأخذه الله سنة ٢١٨. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٢٧٢/١٠ وما بعدها).

قال: فرحمه الأمير وعفا عنه، ثم رأى النبيﷺ فقال يا فضل: لو كان هذا الدعاء قبل التوراة والإنجيل والفرقان لذكره الله فيها[١].

٦- قصة ذي النون المصري[٢] مع الخليفة المتوكل العباسي[٣].

اتهم ذو النون بتهمة باطلة فأمر الخليفة بقتله، ثم نجا، فسأله أحد أصحابه:

كيف خلصت من المتوكل وقد أمر بقتلك؟

قال: لما أوصلني الغلام قلت في نفسي:

يا من ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات[٤]، ولا في الأرض خبيئات، ولا في القلوب خطرات إلا وهي عليك دليلات، ولك شاهدات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تحير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أتعبناك يا أبا الفيض[٥].

---

(١) "الدعاء المأثور وآدابه": ٢٣٩.

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم، أبو الفَيْض، الزاهد، شيخ الديار المصرية. توفي سنة ٢٤٥. انظر "نزهة الفضلاء": (٨٥٥/٢-٨٥٧).

(٣) هو جعفر بن محمد بن هارون الرشيد. قتله الأتراك سنة ٢٤٧. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٣٠/١٢ وما بعدها).

(٤) لم يتبين لي معنى هذه الكلمة، وكأن معناها: دورة الرياح أو مجراها، والله أعلم.

(٥) "نزهة الفضلاء": (٨٥٦/٢-٨٥٧).

خامساً

معرفة شأن القضاء والقدر

القضاء والقدر بحر عميق، لا يمكن للإنسان التوغل فيه ولا التعمق؛ إذ أنه إن فعل ذلك فهو غارق لا محالة؛ وذلك أنه بعقله المحدود القاصر لا يستطيع معرفة مراد الله تعالى من تصرفاته في خلقه، ولا يمكن له إدراك حكمة الله العليم الحكيم في هذا، فهذا ليس من شأن البشر ولا هو في مقدروهم وليس داخلاً تحت طاقتهم، فيُخاف على المرء إن تعمق أن يغرق ويضل. والمتلمس لبعض حِكَم الله تعالى من قضائه وقدره لا يكاد ينقضي عجبه مما اطلع عليه، وهو شيء يسير قليل جداً من بحر الحكمة ومحيط العلم الإلهي، ولا عجب في هذا فالله تعالى قد قال: ﴿ **وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[1]، ومن هنا كان الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة:

« **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره** »[2] وذلك لأنه من جملة الإيمان بالغيب الذي غيب الله تعالى عنا جملته، وأطلعنا على شيء يسير من حكمته.

وهناك بعض القواعد في قضية القضاء والقدر مفيدة جداً في تحقيق

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٥).

(٢) جزء من حديث صحيح مشهور – يُعرف بحديث جبريل عليه السلام – أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: أول كتاب الإيمان.

الأمن النفسي، ولا يُمنع المرء من تدبرها وفهمها، لأن المنع إنما هو في التفكر في سبب القضاء والقدر وأصل العلة فيه مما لا يمكن الوصول إليه:

أ- مقادير الخلائق فُرغ منها:

وذلك مفيد جداً في سكون نفس الإنسان، وتحقيق طمأنينتها وأمنها، وذلك أن الإنسان إذا عرف أن كل ما وقع به وما سيقع مقدر كائن منذ زمن طويل سكنت لتلك المعرفة نفسه، واطمأن قلبه، لأنه يدرك ألا قدرة له على التغيير، وأن ما نزل به هو مراد الله تعالى الكوني القدريّ، فيجب إذاً الاستجابة لمراد الله تعالى والسكون إليه والرضى به، ولا ينافي هذا التقريرُ العملَ على رفع الضير، وإزالة الضرر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلا والله، لكن سياق الكلام هنا على السكون النفسي والرضا القلبي بما نزل بالإنسان من بلايا وأضرار أو ما يتوقع حدوثه من ذلك، والعمل على التغيير ورفع الضرر أمر معروف من قواعد الشريعة ولا جدال فيه.

وفي هذه القضية – أي أن مقادير الخلائق فُرغ منها – يقول النبي ﷺ:

« كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة »[1].

وهذا الحديث في غاية النفاسة، إذ أن مَن علم أن كل ما وقع عليه أو ما يخافه ويحذره من المستقبل كائن مقدر قبل خلق السموات والأرض

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

بخمسين ألف سنة، من علم هذا اطمأنت نفسه، وسكن قلبه، وتحقق له الأمن النفسي المطلوب.

وقال تعالى:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[1].

ومعنى "في كتاب" أي في اللوح المحفوظ، ومعنى "نبرأها": نخلقها، أي نخلق المصيبة.

وقال الإمام القرطبي في هذه الآية:

« قال الربيع بن صالح: لما أُخذ سعيد بن جُبير[2] رضي الله عنه بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبك فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[3].

فمن علم أن كل المصائب مخلوقة مقدرة، مثبتة في اللوح المحفوظ طابت نفسه، وسكن لذلك قلبه، وهدأ روعه.

ب- ما نزل بالعبد من بلاء لم يكن ليتجنبه، وما هُدد به من مخاوف وبلاء لا يصيبه منه إلا ما قدره الله عليه:

---

(١) سورة الحديد: آية (٢٢).

(٢) أي إلى الحجاج ليعاقبه، وقد قتله الحجاج الظالم سنة ٩٥، رحم الله سعيداً ورضي عنه.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن": (١٧/٢٥٨).

وهذه قاعدة مهمة تريح العبد وتطمئنه وتسكب في قلبه مقادير من الأمن النفسي لا يعلمها إلا الله ﷻ، ذلك لأنه يعلم حينئذ أنه موصول بحبل من الله تعالى لا يمكن لبشر كائناً من كان أن يقطعه ولا يضعفه أو ينال منه، قال تعالى:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾[١].

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى "بإذن الله": « أي بإرادته وقضائه » ثم قال: « قال ابن عباس: هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه »[٢].

وقال ﷺ: « ... **واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك...** »[٣].

قال الهيثميّ:

« معنى ذلك أنه قد فُرِغ مما أصابك أو أخطأك من خير أو شر، فما أصابك فإصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك، وما أخطأتك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن أن يصيبك؛ لأنها سهام صائبة وُجِهت من الأزل فلابد أن تقع مواقعها... »[٤].

---

(١) سورة التغابن: آية (١١).

(٢) "الجامع لأحكام القرآن": (١٨/١٣٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال الأستاذ أحمد شاكر: حديث صحيح.

(٤) "فتح المبين لشرح الأربعين": ١٧٦.

فإذا علم العبد كل ذلك هدأت نفسه، واطمأن قلبه، وحصل له من الأمن النفسي ما يستعصي على اليأس والإحباط والحزن أن يؤثر فيه.

جـ كل قضاء الله تعالى وقدره خير وإنما الشر بالنسبة للعبد:

وهذه قاعدة جليلة لابد من معرفتها، فقضاء الله تعالى كله خير، وقد يتصوره العبد شراً لكن هو خير بالميزان الإلهي الدقيق، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1] فصدّر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله، وأنه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا غيره... فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسَلْبه الملك عمن يشاء وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل؛ فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل، والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يُحمد عليه الرب ويُثنى عليه به كما يُحمد ويُثنى عليه بتنزيهه عن الشر وأنه ليس إليه، كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله: « **لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك**

---

(١) سورة آل عمران: آية (٢٦).

أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت »، فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نُسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أُضيف إليه لم يكن شراً... وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشرّ في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله، وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، كما تقدم، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وُضع في محله لم يكن شراً...)[١].

د- القضاء والقدر قائمان على حقيقتين عظيمتين:

وهما العَدْل الكامل والعلم الشامل، فمن كان هذا حالَه سُلّم إليه فيما يفعل ﷻ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[٢]، وقد دلت الآيات الكثيرة الكريمة والأحاديث الشريفة على هذا، وهو أمرٌ يطول إيراده لكن يمكن التمثيل عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٤].

---

(١) "شفاء العليل": (١٧٨-١٧٩).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٢٣).

(٣) سورة النساء: آية (٤٠).

(٤) سورة الكهف: آية (٤٩).

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[٥]

هذا عن كمال العدل، أما العلم الشامل المحيط ففي قوله ﷻ:

﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

فإذا كان لله تعالى العلم الشامل على هذا النحو، والعدل الكامل على ما ذُكر من الآيات سابقاً سلمنا إليه تسليماً كاملاً فيما يصنع في كونه، وفي تصرفاته في خلقه ﷻ، ونتأدب معه ولا نعترض على المقادير فنورد أنفسنا الهلاك بجهلنا وشقائنا، فمن فهم هذا كله اطمأن قلبه، وحصل له من الأمن النفسي ما الله تعالى به عليم.

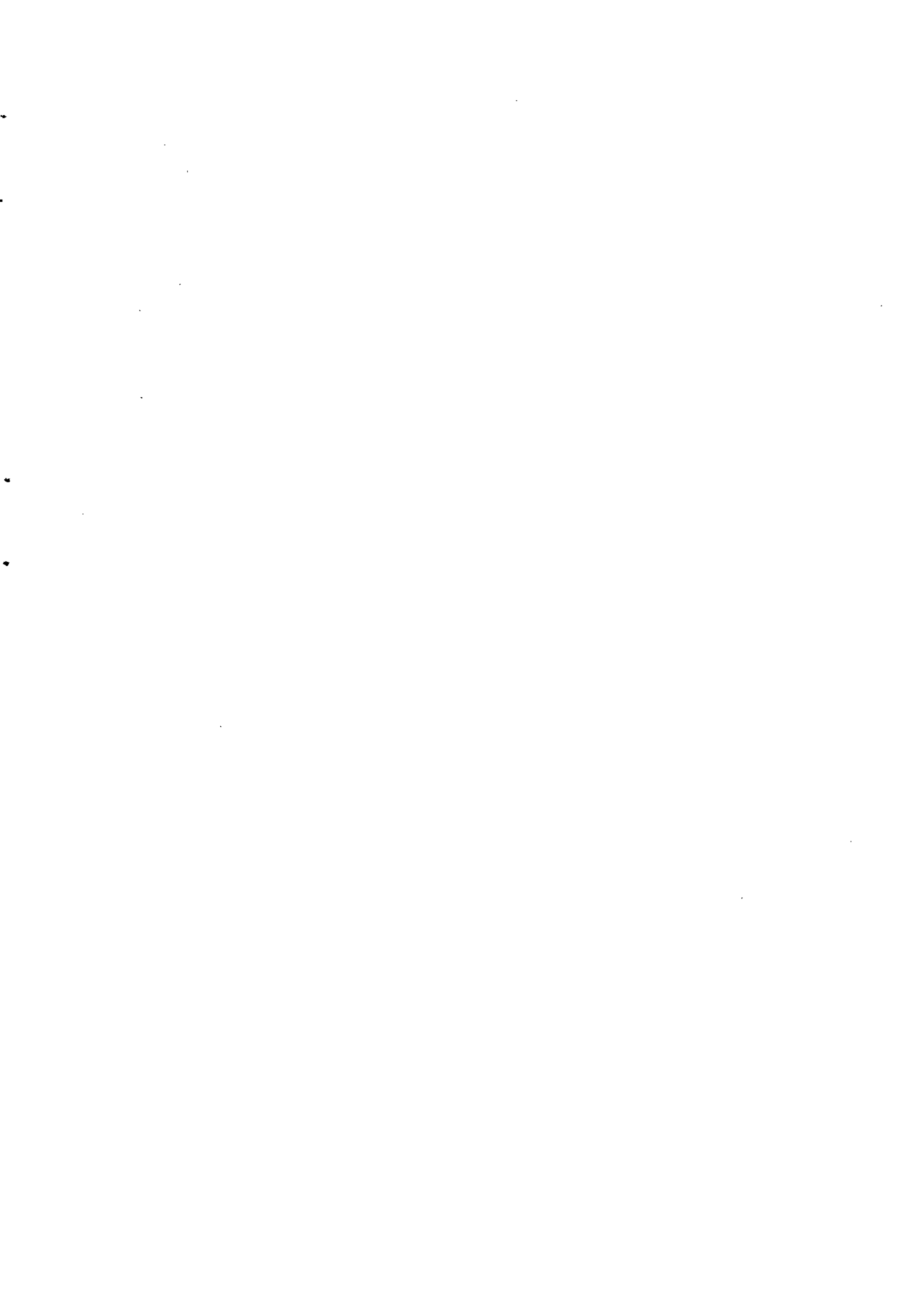
وللقضاء والقدر وفهمهما قواعد أخرى غير هذه التي ذكرتها، لكن يخرج بها الكتاب عن موضوعه، فإني لم أورد هاهنا إلا ماله تعلق بقضية الأمن النفسي، والله أعلم.

---

(١) سورة فصلت: آية (٤٦).

(٢) سورة يونس: آية (٦١).

(٣) سورة الأنعام: آية (٥٩).



سادساً
معرفة شأن الابتلاء

إن معرفة شأن الابتلاء وحقيقته وسببه والهدف منه يسكب في قلوب المؤمنين جرعات رائعة من الأمن النفسي والرضى القلبي؛ ذلك أن المؤمنين جميعهم معرضون للابتلاء، بل كلهم مبتلى بأمر ما، وذلك سنة من سنن الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

وقال جل من قائل: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[2].

وقال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام[3] في هذا المعنى:

« فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله ﷻ، وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا

---

(١) سورة العنكبوت: آية (٢-٣).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٣٥).

(٣) عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السُلميّ الدمشقيّ، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء. فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد في دمشق سنة ٥٧٧. ونشأ ودرس بها. ثم جرت له أمور ومواقف مع أمير بلاده لخيانته وتعاونه مع الفرنجة فخرج إلى مصر، وجرت له أمور كثيرة هناك. له كتب كثيرة. توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ رحمه الله تعالى. انظر "الأعلام": (١٢/٤).

لِجَنبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ ﴾[1][2].

إذاً لابد من الفتنة والابتلاء، وكل عبد مفتون إما بفتنة السراء والخير أو فتنة الضراء والشر، قال الفيروز آبادي[3]:

« اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضارّ ليصبروا، فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر... »[4] وهذا ليظهر صدق إيمان العبد أو كذبه، وقوته أو ضعفه، وثباته أو تزعزعه.

وقال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام:

« والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء، ولهذه الفوائد الجليلة[5] كان (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل)[6] فنسبوا إلى

---

(١) سورة يونس: آية (١٢).

(٢) "الفتن والبلايا": ٢١.

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، من أئمة اللغة والأدب. ولد في كارَزين من أعمال شيراز سنة٧٢٩. وله عدة كتب. وتوفي في زبيد من اليمن سنة ٨١٧ رحمه الله تعالى. انظر "الأعلام": (١٤٦/٧-١٤٧).

(٤) هامش "المحن والبلايا": (١٣-١٤).

(٥) ذكر عدة فوائد للبلايا قبل ذلك.

(٦) قطعة من حديث صحيح أخرجه أحمد وغيره.

الجنون والسحر والكهانة، واستهزئ بهم وسُخر منهم، ﴿ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ ﴾[١]، وقيل لنا: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٢]، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣]، ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ ﴾[٤].

الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وتغربوا عن أوطانهم، وكثر عناؤهم فاشتد بلاؤهم، وتظافر أعداؤهم، فغُلبوا في بعض المواطن، وقُتل منهم بأحد وبئر معونة وغيرهما مَن قُتل، وشُجّ وجه رسول الله ﷺ وكُسرت رَباعيّته، وهُشمت البيضة على رأسه[٥]، وقُتلت أعزاؤه ومُثّل بهم، فشَمِتت أعداؤه، واغتم أولياؤه.

---

(١) سورة الأنعام: آية (٣٤).

(٢) سورة البقرة: آية (٢١٤).

(٣) سورة البقرة: آية (١٥٥).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٨٦).

(٥) أي المِغفر وهو شبه الخوذة.

وابتلوا يـوم الخنـدق: ﴿ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾[(١)]، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[(٢)] فكانوا في خوف دائم، وعُـرْي لازم، وفقر مُدْقع حتى شدوا الحجارة في بطونهم من الجوع، ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبز بُرٍّ في يوم مرتين، فأوذي بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه[(٣)]، ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطلحة والعَنْسيّ[(٤)]، ولقي هو وأصحابه من جيش العسرة[(٥)] ما لقوه، ومات ودرعه مرهونـة عنـد يهوديّ على آصُع[(٦)] من شعير.

ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتعهدون بالبلاء الوقتَ بعد الوقت، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان صُلباً في دينه شُدد في بلائه، ولقـد كـان أحدهم يوضع المنشار على مَفْرِقه فلا يصده ذلك عن دينه.

وقال ﷺ:

« مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يـزال المـؤمن يصيبه البلاء)[(٧)]... »[(٨)].

---

(١) سورة الأحزاب: آية (١١).

(٢) سورة الأحزاب: آية (١٠).

(٣) أي عائشة ~.

(٤) هم كذابون، أسلم أوسطهم وهلك باقيهم على الكفر والعياذ بالله.

(٥) أي جيش تبوك.

(٦) جمع صاع

(٧) قال محقق الرسالة: أخرجه البخاري (٥٦٤٤) في أول المرضى، ومسـلم (٢٨٠٩) في صـفات المنافقين: باب مثل المؤمن كالزرع.

(٨) "الفتن والبلايا": (١٨-٢٠).

وقال الإمام الغزالي(١) رحمه الله تعالى:

« إذا رأيت الله ﷻ يحبس عنك الدنيا، ويكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم أنك عزيز عنده، وأنك عنده بمكان، وأنه يسلك بك طريق أوليائه وأصفيائه، وأنه يراك... أما تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(٢) بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاتك وصلاحك، ويكثر من أجورك وثوابك، وينزلك منازل الأبرار والأخيار والأعزة عنده »(٣).

والبلايا والمحن قد يحملان الخير والمِنَح، ولا يدري المرء أين يكمن له الخير والسرور، والانتصار والفوز، قال الله تعالى:

﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٤).

وقال سبحانه:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٥).

---

(١) الشيخ الإمام، البحر، حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسيّ الشافعيّ الغزاليّ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط. كان خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله. توفي سنة ٥٠٥ بطوس رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (١٩/٣٢٢-٣٤٦).

(٢) سورة الطور: آية (٤٨).

(٣) "فيض القدير": (١/٢٤٥) نقلاً عن هامش "الفتن والبلايا": ٢١.

(٤) سورة النساء: آية (١٩).

(٥) سورة البقرة: آية (٢١٤).

وقال جل من قائل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾[1].

وقال الشاعر:

كـــــم نعمـــــةٍ مطـــويـــةٍ
لك بين أثنـــــاء المصــائب

وقال آخر:

رُبَّ مبغـــــوضٍ كريـــــهٍ
فيـــــه لله لطـــــــــائف

وقال ثالث:

رب أمـــــــــرٍ تتقيـــــهِ
جَـــــرّ أمـــــراً ترتضيـــــه
خفـــــي المحبـــوب منـــــهُ
وبـــــدا المكـــــروه فيـــــهِ

---

(١) سورة النور: آية (١١).

وقال الحسن البصري[1] رحمه الله تعالى:

« لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك، ولَرُبَّ أمرٍ تحبه فيه عطَبُك »[2].

ومن فوائد البلايا الكثيرة[3] أنها تهذب المؤمن وتنفي عنه ذنوبه وأوضاره، وأنها تميز المؤمن من المنافق، قال النبي ﷺ:

« إن الله ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز؛ فذلك الذي نجاه الله من السيئات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي قد افتتن »[4].

قال الأستاذ عبدالله علوان[5] رحمه الله تعالى:

« إن الذين يتصدون للدعوة، ويسيرون في طريق الإصلاح والتغيير والهداية لابد أن يتعرّضوا للمحنة، ولابد أن يواجهوا بأساء الحياة وضرّاءها، ويخطئ من يظن أن طريق الدعوة دائماً محفوف بالورد والرياحين، ومفروش

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الأنصاري بالولاء. ثقة فاضل، فقيه، مشهور. توفي سنة ١١٠ رحمه الله تعالى وقد قارب التسعين. انظر "التقريب": ١٦٠.

(٢) هامش "الفتن والبلايا": ١٦.

(٣) ذكر الإمام العز بن عبدالسلام لها سبع عشرة فائدة في رسالته: "الفتن والبلايا".

(٤) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (٣١٤/٤) وصححه، وأقره الإمام الذهبيّ.

(٥) عبدالله ناصح بن سعيد علوان. فقيه داعية سوري. ولد سنة ١٣٤٦هـ بحلب. له عدة مصنفات وتوفي سنة ١٤٠٧ بجدة ودفن بمكة رحمه الله تعالى. انظر "إتمام الأعلام": ١٧٤.

بالزينات والسجاجيد، ومغتص بالمودّعين والمستقبلين، بل على الداعية أن يعلم أن الطريق قد تكون مفروشة بالصخور الكبيرة العاتية، والأشواك اليابسة المؤذية، والأشقياء العتاة المجرمين، فإن لم يكن معتاداً على الثبات والاحتمال، متروضاً على الصبر والمصابرة فإنه ينهزم في أول لحظات المحنة، ويتقهقر في أول لمحات البلاء، ويقعد مع القاعدين اليائسين المثبطين »[١].

وقال الأستاذ يوسف القرضاويّ حفظه الله تعالى:

« أما المؤمنون فهم أصبر الناس على البلاء، وأثبتهم في الشدائد، وأرضاهم نفساً في المُلِمَّات.

عرفوا قِصر عمر الدنيا بالنسبة لعمر الخلود فلم يطمعوا أن تكون دنياهم جنة قبل الجنة... وعرفوا سنة الله في هذا النوع من الخليقة (الإنسان) الذي ابتلي بنعمة حرية الإرادة والاستخلاف في الأرض، فلم يطمعوا أن يكونوا ملائكة أولي أجنحة... وعرفوا من سنن أنبيائهم ورسلهم أنهم أشد الناس بلاءً في الحياة الدنيا، وأقلُّ الناس استمتاعاً بزخرفها، فلم يطمعوا أن يكونوا خيراً منهم، ولهم فيهم أسوة حسنة...

قال ابن القيم:

« يا مخنثَ العَزم: الطريق تعب فيه آدم، وناح فيه نوح، وأُلقي في النار إبراهيم، وتعرض للذبح إسماعيل، ونشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى »[٢].

---

(١) «صفات الداعية النفسية»: ٤٧.

(٢) «الإيمان والحياة»: (١٩٤-١٩٥).

وقال الأستاذ سيد، رحمه الله تعالى:

« إنها سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة وليكونوا لها أهلاً: أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدهم، وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر، وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدهم لم تزعزعهم شدة ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة... استحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف، وتحررت من الذل، وتحررت من الحرص على الحياة أو على الدَعة والرخاء فهي عندئذ أقرب ما تكون إلى عالم الجنة وأرفع ما تكون عن عالم الطين: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1]... إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه، من الرسول الموصول بالله، والمؤمنون الذين آمنوا بالله، إن سؤالهم: متى نصر الله؟ ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة... وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة عندئذ تتم كلمة الله ويجيء النصر من الله...

إن نصر الله مدخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية، الذين يثبتون على البأساء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، الذين لا

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

يحنون رؤوسهم للعاصفة، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله وعندما يشاء الله، وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون فحسب إلى نصر الله لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله، ولا نصر إلا من عند الله، بهذا يدخل المؤمنون الجنة، مستحقين لها جديرين بها بعد الجهاد والامتحان والصبر والثبات والتجرد لله وحده...

هذا هو الطريق كما بينه الله – سبحانه – لكل جماعة مسلمة في كل جيل، هذا هو الطريق: إيمان وجهاد، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجه إلى الله وحده ثم يجيء النصر »[١].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

« فمن مسه الضر في فتنة من الفتن، وفي ابتلاء من الابتلاءات، فليثبت ولا يتزعزع، وليستبقِ ثقته برحمة الله وعونه، وقدرته على كشف الضراء، وعلى العوض والجزاء »[٢].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

« ولابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[٣] لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون

(١) «طريق الدعوة في ظلال القرآن»: (٣٥١-٣٥٣).

(٢) المصدر السابق: ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة: ١٥٥.

تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف – هنا – هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعزّ في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها وكلما بذلوا من أجلها كانت أعزَّ عليهم، وكانوا أضنَّ بها...

ولابد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصحَّ وتدقّ وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والرانَ على القلوب، وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام، وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده لا يجد سنداً إلا سنده، وفي هذه اللحظة قد تنجلي الغشاوات، وتنفتح البصيرة وينجلي الأفق على مد البصر: لا شيء إلا الله، لا قوة إلا قوته، لا حول إلا حوله، لا إرادة إلا إرادته، لا ملجأ إلا إليه... لذلك إن الله قد وضع الابتلاء لينكشف المجاهدون ويتميزوا، وتصبح أخبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين، ولا أمر الضعاف الجزعين... »[1].

(١) "طريق الدعوة في ظلال القرآن": (٢٢١-٢٢٢).

وقال أيضاً، رحمه الله تعالى:

« وما بالله — حاشا لله — أن يعذب المؤمنين بالابتلاء وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام... وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً، وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر »[1].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

« وإن العبد المؤمن يرجو ألا يتعرض لبلاء الله وامتحانه، ويتطلع إلى عافيته ورحمته، فإذا أصابه بلاء بعد هذا صبر له، وهو مدرك لما وراءه من حكمة، واستسلم لمشيئة الله واثقاً من حكمته متطلعاً إلى رحمته وعافيته بعد الابتلاء »[2].

فإن فهم العبد البلاء على هذا الوجه استقام له عيشه، ورسخت قدمه، واطمأنت نفسه، وأمن أمناً عظيماً، وإلا تشوش وانقطع، والعياذ بالله.

---

(١) المصدر السابق: ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٣.

سابعاً

الصبر على المصائب والمكروهات

لابد للمؤمن في رحلته إلى الله تعالى من الصبر على كل ما يترل به من المصائب، أو ما يتوقعه من المخاوف، والصبر ضياء – كما أخبر النبي ﷺ(١) – وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(٢).

وقال جل من قائل: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾(٥).

وقال ﷻ:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾(٦).

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة: باب الصلاة نور...

(٢) سورة آل عمران: آية (١٤٦).

(٣) سورة الزمر: آية (١٠).

(٤) سورة لقمان: آية (١٧).

(٥) سورة المعارج: آية (٥).

(٦) سورة البقرة: آية (١٥٥-١٥٧).

وقال النبي ﷺ:

« وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر »[١].

وقد قال ﷺ مرغباً في الصبر حال نزول المصائب:

« عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد غير المؤمن، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »[٢].

وقال علي رضي الله عنه:

« يا ابن آدم: لا تفرح بالغنى، ولا تقنط بالفقر، ولا تحزن بالبلاء، ولا تفرح بالرخاء؛ فإن الذهب يجرَّب بالنار، وإن العبد الصالح يجرَّب بالبلاء، وإنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تؤمِّل إلا بالصبر على ما تكره، وابذل جهدك لرعاية ما افتُرض عليك »[٣].

الصبر طريق النصر:

وليعلم العبد أن الصبر طريق إلى النصر كما وعد الله تعالى بقوله:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[٤].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: "كتاب الزكاة": باب الاستعفاف عند المسألة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد: باب أحاديث متفرقة.

(٣) "رسالة المسترشدين" للمحاسبي نقلاً عن هامش "المحن والبلايا": ١٣.

(٤) سورة الأنبياء: آية (٧٣).

وقال ﷺ: « **واعلم أن النصر مع الصبر** »[١].

وقال سبحانه مهوناً من كيد الكافرين إن التزم المؤمنون الصبر والتقوى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[٢].

وجعل الله الصبر أحد شروط النصر الخمسة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٣].

وقال سبحانه:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[٤].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند، وقد صححه الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى.

(٢) سورة آل عمران: آية (١٢٠).

(٣) سورة الأنفال: آية (٤٥-٤٦).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٤٦).

- صبراً جميـــلاً ما أقرب الفرجا
من راقب الله في الأمـــور نجـــا
من راقب الله لم ينــــله أذى
وكـــان من الله حيث رجـــــا

- تصـــبر أيهـــا العبـــد اللبيب
لعلك بعـــد صـــبرك ما تخيب
وكل الحـــادثات إذا تنـــاهت
يكـــون وراءهـــا فرج قريب

ثامناً

الاطلاع على المبشرات المثبتات

إن من أعظم ما يثبت المؤمن ويحفظ عليه أمنه النفسيّ هو اطلاعه على جملة من المبشرات والمثبتات المبثوثة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومما يساعده أيضاً في هذا الباب اطلاعه على واقعه اليوم والمقارنة بينه وبين أمسه القريب، فإن واقع أمة الإسلام اليوم يبين بوضوح أن الليلة ليست كالبارحة، ويفتح باب الأمل على مصراعيه أمام الأمة الإسلامية حتى لا يغزوها اليأس ويحطمها الإحباط، وأبدأ بذكر الأدلة القرآنية، فمن ذلك:

١- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[(١)] ونحن نرى اليوم جماعات وهيئات ودولاً وأفراداً كثيرين ينصرون الله تعالى بما يستطيعون، ويقدمون أرواحهم وأوقاهم وكثيراً من أقواهم في سبيل هذه النصرة، ودائرة النصرة هذه في اتساع كل يوم ولله الحمد، وهي تكسب مواقع جديدة في جوانب السياسة والإعلام والاقتصاد والتعليم وغير ذلك، وسيأتي لهذا مزيد تفصيل وتدليل فيما بعد، فإذا أخلص هؤلاء الناصرون دينهم لله تعالى واجتهدوا فإن نصر الله تعالى يتترل عليهم ولو بعد حين.

٢- قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟

---

(١) سورة محمد: آية (٧).

وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٢]،

ونحن نرى اليوم جماعات كثيرة من المجاهدين تنطبق عليها هذه الأوصاف والأحوال المذكورة في هذه الآية الكريمة، فهؤلاء المجاهدون في فلسطين والشيشان وكشمير وجنوب الفلبين يضربون أروع المثل في الثبات وذكر الله تعالى وطاعته والاستنان بسنة رسوله ﷺ والاجتماع على الحق والصبر، فقوم مثل هؤلاء حريٌّ أن يتنزل عليهم النصر إن شاء الله تعالى، وإذا قارنا ما يحدث في هذه الأيام وما كان يجري زمان الذل في القرن الماضي لعرفنا قرب النصر إن شاء الله تعالى، ويكفي أن أقول إن أعداء الإسلام في العصر الحديث لم يواجهوا يوماً مجاهدين على هذه الشاكلة و لم يَدُرْ بخَلَدهم أن المسلمين سيستيقظون على هذا النحو، ولقد كانت راية القتال في أكثر الجيوش العربية والإسلامية عُمِّية غير واضحة المعالم.

٣- قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] ويشابهه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[٢] وأجزم أن في الأمة اليوم مجاهدين

---

(٢) سورة الأنفال: آية (٤٥-٤٦).

(١) سورة الروم: آية (٤٧).

(٢) سورة غافر: آية (٥١).

مؤمنين أطهاراً يستحقون أن يتنزل عليهم النصر القريب الآتي إن شاء الله تعالى.

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾[١].

٥- قال الله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

أما الأحاديث النبوية الشريفة المطهرة فهي كثيرة فمنها:

١- عن أبي قَبيل[٣] قال: كنا عند عبدالله بن عمرو فسئل:

أي المدينتين تُفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٩-١٤٠).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٢٨-١٢٩).

(٣) حُيَي بن هانئ بن ناضر، أبو قَبيل المعافريّ المصريّ. توفي سنة ١٢٨ رحمه الله تعالى. انظر "التقريب": ١٨٥.

قال: فدعا عبدالله بصندوق له حَلَق فأخرج منه كتاباً، فقال عبدالله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ:

« أي المدينتين تُفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تُفتح أولاً، يعني القسطنطينية »(٤).

وقد تحقق ما قاله ﷺ وفتحت القسطنطينية – وهي اليوم استانبول – وننتظر، إن شاء الله تعالى، فتح روما.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبدالله: هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله »(١).

وهذا والله تعالى أعلم قريب زمانه، حاضر أوانه؛ فإن أهلنا في فلسطين يرجعون إلى الله وينطبق على كثير منهم أنه مسلم عبدالله.

– **أما الدراسة التاريخية التتبعية** فتدل دلالة أوضح من الشمس في رائعة النهار أن الإسلام قادم بقوة، وأنا ذاكرٌ بعض النقاط وساردها سرداً موجزاً، وكل ما سأذكره خاص بالقرون الأربعة الأخيرة فقط، والمقارنة التي سأذكرها إنما أعني بها تلك القرون:

---

(٤) أخرجه الإمام أحمد ورجاله ثقات، انظر "مجمع الزوائد": (٦/٢٢٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفتن: باب قتال المسلمين اليهود.

أ- المسلمون لم يكونوا يوماً أشد وعياً ولا أعظم إدراكاً لما يحدث من مؤامرات دولية ودسائس ومكائد منهم في زمانهم هذا، والوعي والإدراك عنصر مهم طالما نجح أعداؤهم في التغلب عليهم بسبب ضعفه بل انعدامه عندهم، وكم ظهر عند المسلمين من رجال قادوا الأمة إلى أوخم العواقب بسبب جهلها وهناك أمثلة كثيرة وليس كمال أتاتورك وجمال عبدالناصر منا ببعيد، وكم ضحك علينا الشرق والغرب طويلاً لكن الحال اليوم تغير والأمة غير الأمة، ولله الحمد.

ب- السير الحثيث للتخلص من الربا والمعاملات غير الإسلامية في كثير من الدول الإسلامية، وإنشاء المؤسسات المالية الإسلامية التي تقارب المائتي مصرف وشركة إسلامية، وقبل ثلاثين سنة لم يكن هناك أي مؤسسة أو مصرف، وكانت الصحافة الناصرية البغيضة تستهزئ بالأستاذ الدكتور عيسى عبده[1] رحمه الله لما أراد إنشاء مصارف على أساس إسلامي، وهذه النقلة في المعاملات الإسلامية تقربنا من تحقيق أمره تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[2]، وتبعدنا

---

(١) من كبار الاقتصاديين الإسلاميين. تخرج في جامعة مانشستر بإنكلترة. تبين له فساد النظام الربوي فعاش حياته كلها لبيان آثاره الخطيرة، داعياً لتأسيس بيوتات مالية ومصارف تقوم على النهج الإسلامي. شارك في إنشاء أقسام الاقتصاد الإسلامي في عدد من الجامعات العربية. له عدة مصنفات. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٠. انظر «إتمام الأعلام»: ١٩٥.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٧٨).

من ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٣].

جـ التزام كثير من أفراد الجيوش العربية والإسلامية بالإسلام ضباطاً وجنوداً، ولو تتبعنا حال هذه الجيوش العربية إلى أربعين سنة ماضية لوجدنا أن الأغلبية الساحقة من الضباط والجنود لم يكونوا يعرفون صلاة ولا صياماً، ولا يدركون معنى الجهاد في سبيل الله، ولم يقاتلوا على أساس من الإسلام متين، وكانت الكبائر منتشرة فيهم، وهذا الذي نراه اليوم من أفصح دلائل النصر القادم.

د- التزام النساء بالإسلام، وقد حاول أعداء الإسلام مراراً أن يفسدوا المرأة المسلمة ونجحوا حتى أصبحت أكثر العواصم العربية والإسلامية خلواً من مظاهر الحجاب، وكان الأصل فيها تفلت النساء من الالتزام الشرعي ولم تتغير هذه الصورة إلا من ثلاثين سنة خلت فقط، واليوم الأصل في أكثر العواصم الإسلامية الحجاب ولله الحمد، وقد حكى لي أحد الأساتذة الدكاترة وهو شاعر مشهور أنه كان في بلد عربي كبير في الثمانينات الهجرية – الستينات الميلادية – يرجو أن يجد امرأة تقبل بوضع الإيشارب على رأسها ليتخذها زوجاً له فلا يجد إلا بصعوبة!!

ولم تكتف المرأة اليوم بالحجاب فقط بل نزلت إلى ميادين الجهاد السياسي والإعلامي والاقتصادي والاجتماعي، وأنشأت أجيالاً رائعة من

---

(٣) سورة البقرة: آية (٢٧٩)

الشباب والشابات، وفي هذه السنة نزلت النساء الفلسطينيات الرائعات ميادين العمليات الاستشهادية التي لا يطيقها إلا القليل من شجعان الرجال وأبطالهم، وهذا التحول الذي جرى على المجتمع النسائي لهو مسمار في نعش المحاولات التغريبية التي أحاطت بالمرأة المسلمة في القرنين الأخيرين، والله الحمد.

هـ- انتشار الثقافة الإسلامية الصحيحة الواعية، والكتب الكثيرة التي تتحدث عن عظمة الإسلام وروعته، وانتشار المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وكل ذلك لم يكن قد ابتدأ إلا منذ ستين سنة فقط على أكثر تقدير، وابتدأ بداية متواضعة على استحياء ثم انتشر انتشاراً واسعاً حتى صارت معارض الكتب لا تقتات إلا على بيع الكتب الإسلامية وما يتبعها.

و- انتشار الإعلام الإسلامي انتشاراً عجيباً، فاليوم للإعلام الإسلامي قنواته الفضائية، وبرامجه التي لا تحصى كثرة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهناك البدائل الواضحة الجيدة عن كل الغثاء الذي كان له السيادة المطلقة قبل ثلاثين سنة بل عشرين، وهناك اليوم البديل الجيد للأطفال والنساء والرجال والشباب من المقروء والمسموع والمرئي مما لم يكن يحلم به أكثر الناس تفاؤلاً قبل ثلاثين سنة فقط، وانتشرت اليوم المؤسسات الإسلامية الإعلامية بالمئات في القارات: أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، وهذه نعمة جليلة.

ز- وأعظم الدلائل الواضحات التي لا تقبل جدلاً ولا نقاشاً هو بزوغ الصحوة الإسلامية الرائعة في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري أو السبعينات الميلادية التي ألقمت أعداء الله تعالى حجراً وكانت غُصّةً في حلوقهم وشوكة في جنوبهم، والتي أتاهم الله تعالى بها من حيث لم يحتسبوا، فأصبح للدين جنده من ملايين الشباب والشابات الأطهار ذوي الأيدي المتوضئة، ولم يكن عددهم يتجاوز الآلاف في العالم الإسلامي كله زمان الظلام الدامس الذي خيم على القرون الأربعة الماضية، وصار الشباب والشابات ينادون بملء أفواههم بالإسلام، ويطالبون بالجهاد، ويتمسكون بحبل الله تعالى ويرعبون أعداء الإسلام، وهؤلاء هم عدة النصر القادم إن شاء الله تعالى وشمس الأمة وغدها الباسم وضياؤها المشرق، وإن زادوا إلى الحد الذي يقدره الله تعالى فليس من قوة في الأرض تستطيع مقاومتهم أو تجاهلهم، وإن غداً لناظره قريب، والعجيب أن أكثر هؤلاء في القطاعات التقنية والمهنية والفنية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية أي في القطاعات التي جهد أعداء الإسلام طويلاً في العمل على تغريبها وتخريبها.

ويخبرنا أحد إخواننا الذين يكبروننا في السن أنه صلى في الحرم المكي في تهجد رمضان سنة ١٣٨٢هـ وكان يصلي فيه أربعة صفوف صغيرة والإمام يقرأ بلا مكبر للصوت فيُسمعهم!! وذلك بسبب قلتهم، ولقد كانت أكثر المساجد لا يحضرها إلا كبار السن، فكيف هو الحال اليوم

والحرم يصلي فيه وقت تهجد رمضان مئات الآلاف والمساجد في العالم الإسلامي غاصة بعشرات الملايين من الشباب الطاهر والشابات العفيفات.

ولقد كان كبار علماء العالم الإسلامي يشكون من تفرق الشباب عنهم في السبعينات والثمانيات الهجرية أي الخمسينات والستينات الميلادية فأصبحوا بعد ذلك – وقد التف الشباب حولهم – ملء السمع والبصر، فعلام يدل كل هذا؟

ح- الرغبة العارمة لدى ملايين الشباب والشابات في عمل شيء لرفع الذل عن الأمة ورفعها إلى سدة السيادة العالمية من جديد، وهذا الأمر أكثر ما يزعج أعداء الإسلام ويخفيهم، ويزعزع كل الأسس التي جهدوا في إرسائها والتي حاولوا بها أن يصرفوا الشباب عن العمل الجاد إلى الخلافات العقيمة المطولة، أو الانزواء في المساجد والزوايا والتكايا، أو الانشغال بسفاسف الأمور ودناياها، أو الانغماس في الكبائر والموبقات، أما اليوم فقد عرف كثير من الشباب والشابات طريقهم، والتزموا إسلامهم، وصاروا يعملون – في مجملهم – ما يستطيعونه من أجل نصرة الإسلام وقضاياه، والمطلع على المظاهرات المليونية في عدد من بلاد العالم الإسلامي، والناظر إلى القنوات الفضائية والشبكات العنكبوتية – الإنترنت – وما يجري فيها من تفاعل عدد عظيم مع قضايا المسلمين ليدرك تماماً أن الليلة ليست كالبارحة، وأن الأمة غيرها بالأمس، وأن كثيراً من مظاهر التغيير الجادة قد بدأت تشق طريقها على أيدي هؤلاء الشباب الأطهار العظماء.

ختاماً إخواني: إنه لا يفت في عضد أعداء الإسلام شيء أكثر من تفاؤلكم بالنصر ثم العمل على تحقيقه، ولا يفرحهم شيء قدر فرحهم إذا يئستم وأعرضتم وتوليتم، فالله الله، فهذه أيام من أيام الله تعالى شديدة، العامل فيها ليس كالعامل في أيام الرخاء، فأروا الله تعالى من أنفسكم نصرة وحماساً وعملاً صالحاً مبروراً عسى الله أن يمن علينا بأن يقر أعيننا بنصر الإسلام وأهله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فهرس المصادر والمراجع

١- «القرآن الكريم».

٢- «أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء» لواضع هذه الرسالة.
نشر دار الأندلس الخضراء. الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٢هـ.

٣- «إتمام الأعلام» د. نزار أباظة ومحمد رياض المالح.
نشر دار صادر. بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩.

٤- «الأعلام»: خير الدين الزركلي.
نشر دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م.

٥- «تقريب التهذيب» الحافظ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢) تحقيق الأستاذ محمد عوامه.
نشر دار الرشيد. حلب. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

٦- «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١)
نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.

٧- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١).
نشر دار المعرفة. بيروت سنة ١٣٩٨م.

٨- «صحيح البخاري».

٩- «صحيح مسلم».

١٠- «العاطفة الإيمانية»: لواضع هذه الرسالة.

نشر دار الأندلس الخضراء جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

١١- «العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين»: لواضع هذه الرسالة.

نشر دار المجتمع. جدة. الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٣هـ.

١٢- «فتح المبين لشرح الأربعين»: ابن حجر الهيتميّ، أحمد بن حجر (ت ٩٧٤).

نشر دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٣٩٨هـ.

١٣- «الفتن والبلايا والمحن والرزايا» سلطان العلماء العز بن عبدالسلام (ت ٦٦٠).

تحقيق الأستاذ إياد الطباع. نشر دار الفكر المعاصر. بيروت، ودار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ.

١٤- «في ظلال القرآن» الأستاذ سيد قطب (ت ١٣٨٦).

نشر دار الشروق. بيروت. الطبعة العاشرة سنة ١٤٠١.

فهرس المواضيع